

عدي عدنان البلداوي

حول اشكالية
تجسيد الأنبياء

الكتاب: حول اشكالية تجسيد الأنبياء
الكاتب: عدي عدنان البلداوي
الطبعة: الاولى
جهة الطبع: مؤسسة البلداوي للطباعة
حقوق الطبع محفوظة
سنة الطبع: ٢٠١٥م

المحتوى

- ١ - مقدمة ١
- ٢ - اعمال تناولت الانبياء ٣
- ٣ - ردود افعال ٥
- ٤ - ما الاشكالية في تجسيد نبي من الانبياء ٧
- ٥ - المجتمع بين القوى المادية والقوى الروحية ١٧
- ٦ - صناعة الثقافة ٢٢
- ٧ - صناعات غربية ٢٨
- ٨ - المتقف المعاصر والمؤسسة الدينية ٣٤

مقدمة

ليست هي المرة الأولى التي يتم فيها تناول شخصيات مقدّسة كالأنبياء عليهم السلام في أعمال سينمائية أو روايات أو رسوم كاريكاتيرية...

وليست هي المرّة الأولى التي يتظاهر فيها العالم الغربي والعالم الإسلامي مستنكراً هذه الأعمال ...

ان تناول رسّام كاريكاتير أو صحيفة أو كاتب أو مخرج سينمائي لشخصية مقدّسة كالنبي عيسى والنبي موسى والنبي نوح والنبي محمّد ، من باب حرية الفكر والتعبير أو حرية الرأي الشخصي ، هي باعتقادي أكبر من كونها انعكاساً لفهم أو تصوّر كاتب أو رسّام لشخصية معينة ثم محاولة تجسيدها أو رسمها ، وهي أكبر من كونها رغبة صحيفة في طبع نسخ أكثر من أجل مكسب مادي اكبر ، وهي أكبر من كونها أعمالاً تهدف الى إبداء الغيظ أو التذمر من مهاجرين ولاجئين مسلمين أصبحوا أكثر في

اوربا..

وهي أكبر من كونها محاولات لتوثيق انجازات أداها
نبي من الأنبياء ممن تناولتهم تلك الأعمال السينمائية أو
الصحفية أو غيرها ..

وهي أكبر حتى من مجرد التعرض الشخصي لنبي من
الأنبياء..

أعمال تناولت الأنبياء

قَدّم المخرج (جريفت) اعمالاً مثل (التعصب) و (الوصايا العشر) عام ١٩٢٤م تناول فيها السيد المسيح عليه السلام ، ثم المخرج (سيسل دي ميل) في فلم (ملك الملوك) عام ١٩٢٤م ، ثم فلم (المسيح يصلب من جديد) عام ١٩٥٧م للمخرج (جول داسان) والكاتب اليوناني (نيكوس كازانتزاكيس) وكان عملاً فرنسياً يونانياً مشتركاً عرض فيه الكاتب فكرته متسائلاً، فيما لو عاد السيد المسيح وعاش بين أتباعه ، هل سيتقبلون وجوده بينهم في عصرهم الجديد ، بروحيته التي عرفوه بها إبان دعوته ، أم أنهم سيصلبونه؟ وقَدّم الكاتب (كازانتزاكيس) عام ١٩٩٠م فيلم (الإغراء الأخير للسيد المسيح) يتناول فيه السيد المسيح كشخص عادي بعيداً عن النبوة .. وفي عام ١٩٧٢م ظهر فيلم (السيد المسيح سوبر ستار) بعروض غنائية استعراضية

راقصة ، وكثير من الأفلام التي أثار عرضها استياء المشاهدين في أوروبا وأمريكا .. عرض في مصر في الخمسينات والستينات من هذا القرن فلم (حياة وألم المسيح) مدبلج إلى العربية ، قوبل بالرفض لتجسيده شخصية النبي عيسى عليه السلام على الشاشة .. وهناك فلم (نوح) الذي أنتجته شركة (باراماونت) حيث يقوم الممثل (راسل كرو) بالبطولة والفلم الذي يظهر فيه النبي نوح مجسداً ، يتحدث عن بناء السفينة التي أنقذ بها النبي نوح الناس من الطوفان .. وفي مجال الصحافة ، نشرت الصحف الدنماركية في عام ٢٠٠٦م رسوماً كاريكاتيرية تتناول النبي محمد ، ثم فلم (برائة المسلمين) الذي بث على (يوتيوب) عام ٢٠١٢م .. وصحيفة (شارلي ايبدو) الفرنسية التي نشرت رسوما كاريكاتيرية عن النبي محمد عام ٢٠١٤م ..

ردود أفعال

قوبلت هذه الأعمال برفض جماهيري كبير في العالمين الغربي والإسلامي ، تنوع ذلك الرفض بين التظاهرات ، والتصريحات ، والفتاوى ، والقرارات ..

يرى علماء الدين في العالم من مسيحيين ومسلمين ، ان تجسيد شخصية أي نبي لا يتناسب مع مقامه ، وانه لا يجوز ذلك .. وعلى الرغم من اعتراض علماء الدين على تجسيد شخصية أي نبي في فلم ، فقد عرض فلم (آلام المسيح) عام ٢٠٠٤م في كثير من الدول العربية ، كما عرضت بعض القنوات العربية مسلسل (الحسن والحسين ومعاوية) على الرغم من اعتراض الأزهر في مصر ومرجعية النجف الأشرف على عرضه ..

وحول الرسوم الكاريكاتيرية الأخيرة لصحيفة ابيدو الفرنسية التي يتعرض فيها الرسّام إلى النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وآله ، قال المتحدث باسم البيت

الأبيض جاي كارني: (نحن على علم بأن جريدة فرنسية نشرت رسوماً تمثل النبي محمد وبالطبع نحن لدينا أسئلة عن الحكمة من وراء نشر أمور من هذا النوع... إننا نشدد دائماً على أهمية حماية حرية التعبير الواردة في دستورنا ، وبشكل آخر فإننا لا نتساءل حول الحق بنشر أمور من هذا النوع ولكن حول الحكمة التي أملت اتخاذ قرار نشرها .. (في السعودية هدّدت السلطات بحجب موقع يوتيوب كلياً في البلاد ، وفي باكستان دعت الحكومة الناس إلى التظاهر السلمي احتجاجاً ، ودعا البابا بنديكتوس السادس عشر المسلمين والمسيحيين إلى التعاون من أجل وضع حدٍّ للعنف والحرب .. وأمرت محكمة استئناف اتحادية في أمريكا شركة كوكل بحذف فلم (براءة المسلمين) من موقعها .. هذا بالإضافة إلى تصريحات من وزراء ورؤساء في العالم يرفضون فيها مثل هذه الأعمال .. ونظمت مهرجانات وندوات ثقافية منددة هنا وهناك ..

ما الإشكالية في تجسيد شخصية نبي من الأنبياء؟

كان الأنبياء موجودين بأشكالهم وذواتهم بين الناس وهم يؤدون رسالاتهم السماوية الموكلة اليهم ، ولم يكونوا يؤدون ادوراهم من خلال رسل ووكلاء .. فما الفارق بين وجود شخص النبي في حياته بين الناس ، وبين تجسيد دوره في فيلم بعد غيابه ؟

ان وجود شخص النبي في حياته بهيئته البشرية المجسدة في المجتمع الذي أنيط اليه إلهياً القيام بالدعوة فيه ، كان مدعوماً بالبعد السماوي الغيبي أو هو الوحي أو هو البعد الروحي ، فالأنبياء لم يكونوا بعيدين أو غائبين عن الناس ، بل كانوا يعيشون مع الناس حتى أدق التفاصيل ، وكان للباعث الإلهي ، أي المعجزة دورها في شدّ الناس الى النبي ليتمكن من خلال الإعجاز الإلهي أن يمدّهم بالوعي اللازم الذي يراد للمجتمع أن يبلغه كي يتجاوز أزماته

ومعاناته وجهله ، أي أن النبي كان يبين للناس فاعلية البعد الروحي في الارتقاء بالإنسان من كونه مجرد كائن بشري مادي الى إنسان واعي مدرك ذي أبعاد أكثر من البعد الوجودي المجرد .. ترى ما الحكمة في ذكر العصا في قصة النبي موسى ، ابتداءً من (وما تلك بيمينك يا موسى) ، حتى (فأوجس في نفسه خيفة موسى) لما رأى عصاه تتحول الى أفعى ، لكنه اطمأن عندما أخبره العزيز الجليل (سنعيدها سيرتها الأولى) ، وصولاً الى (اضرب بعصاك البحر) ، ترى أكان الهدف من إظهار تلك المعجزة هو شدّ الناس تحت تأثير الخوف والقوى الغيبية لإرادة ورسالة موسى ؟ أبداً لم يكن الأمر كذلك دلالة انه جلّ شأنه طلب من موسى وهارون أن يقولوا لفرعون قولاً لينا ، على الرغم من تصريح القرآن الكريم بـ (انه طغى) ، هنا رسالة واضحة جداً لمفهوم القوة ، وفي دعاء جبرائيل عليه السلام (سبحانه من

قوِّي ما أحكمه) ، لم يقل ما أشدّه ، أو ما شابّه ، لقد قرن القوة بالحكمة ، وهذا هو المراد من تعريف القوة ، هذا هو مشروع كل نبيّ من الأنبياء على اختلاف أزمّنتهم ومجتمعاتهم ، فمع تمكن النبي موسى من سحره فرعون وإذعانهم له ، لم يستخدم قوّة الغيب أو قوّة البدن كوسيلة لتأدية الرسالة السماوية وإيصال الوعي الى الناس ، بل كان ذلك عن طريق البعد الروحي عندما أخبرهم أن كل ما حصل كان بأمر الله ، وإن الهدف من اظهار هذه المعجزات هو الإذعان لقدرة الله والإيمان به ، لذلك آمن الناس ، مقتنعين انه لم يكن سحراً ولا قوى خارقة ، بل هو إشارة الى وجود مقتدر عالم يريد لخلقه أن يبلغوا قدراً كافياً من الوعي على يد أنبيائه ليكونوا صالحين ، مدركين لقيمة وجودهم ودورهم في الحياة .. والعصا التي ضرب بها النبي موسى البحر لينجو ومن معه ، ثم يغرق فرعون وجيشه ، ظهرت على شكل كويكب

صغير يسقط على البحر في الفلم الذي يتناول قصة النبي موسى..

يبدو لي ان الأمر مبني على أساس الفهم المادي للقوة المجردة للعلم ، اذ لا تفسير علمي لإستجابة البحر لضربة من عصا موسى ، لذلك لا يبدو لي ان القائمين على هذا الفلم يريدون ان يغيروا ماورد في المصادر المقدسة عن قصة النبي موسى ، ولا يريدون ان يتعرضوا لشخصية النبي بالسوء ، بقدر ما يريدون ان يقدموا التاريخ للمشاهد وفق البعد المادي للعلم والقوة بمفهومها في العصور الحديثة ، وليس وفق البعد الروحي ، وهذا العمل بتكاليفه الباهضة التي تتجاوز المائة مليون دولار في بعض الأفلام ، هدفه المشاهد وحسب..

واذا كان النبي محمد وهو محاط بعدد من الفقراء المستضعفين ، يستمد قوته بوجود عامل النبوة والمعجزة

الإلهية ، فمن أين استمدّ أبو ذر الغفاري وسلمان
المحمدي وعمّار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر وغيرهم
من المسلمين قواهم وهم يتصدون مدافعين عن دين نبيّهم
بوجه قوى متسلطة ودول جبّارة وإمبراطوريات
عظيمة..

انه البعد الروحي الذي أودعته النبوة في أعماق نفوس
ارتبطت أجسادها بجذور تراثها وتاريخها وأصولها
فكانت قوة قلبت كل الحسابات الماديّة للطرف الآخر..
وعلى الرغم من أن العلم المادي لا يتقبل بقاء جسم
الإنسان مدّة زمنية طويلة بلا أضرار ، فقد بقي أصحاب
الكهف كل تلك السنين الطوال ، دون أن تبلى أجسامهم ،
وظهروا إلى الناس بعد مئات السنين ليوصلوا رسالة
ربّ العلمين اليهم ، ثم ماذا حصل بعد ذلك ؟ لم يلبث
أصحاب الكهف طويلاً بعد ظهورهم حتى ماتوا ، وهنا
تتجلى صورة الحكمة والقوة وفق البعد الروحي .. كلنا

نفخر بأن الإسلام وصل بلاد فارس والروم وإلى مساحات كبيرة وبعيدة ، لكن أكثرنا لم يسأل كيف تمكن أولئك المستضعفون الفقراء المهاجرون بعيداً عن ديارهم وأهلهم أن يصلوا بالإسلام إلى أرجاء الأرض.. ان الفارق بين وجود النبي بين الناس وبين رحيله ، هو انقطاع الوحي في غياب النبي ، فما الذي يبقى بعد انقطاع الوحي ؟ .. انه الوحي..

فالوحي هو الإمتداد الإجتماعي لرسالات الأنبياء بين الناس ، فعندما يظهر النبي مجسداً في الفلم أمام المشاهد، ستتشكل في ذهنه بمرور الوقت صورة مكانية للنبي لا وجود للبعد الروحي فيها ، فيغدو النبي للأجيال المتلاحقة شخصية تاريخية أدت دوراً إيجابياً يصعب الإتصال بها في عصر الماديات وتحكمها بكل شيء حتى العلم .. فينشأ نوع من الغربة بين المجتمع وتراثه، أو يبدو الزمن بعيداً بين الحاضر والماضي بدرجة

يصعب معها الشعور بالتواصل ، وهدف هذا الطرح هو الحفاظ على ديمومة نجاح الماديّة والصور التي تشكّلت على إثره مجتمعات العالم اليوم..

لم يكن الإسلام ديناً روحياً وحسب ، بعيداً عن جوانب الحياة الأخرى المادية والإنسانية والاجتماعية وغيرها ، فقد عاش النبي مع الناس وتطرق الى مشاكلهم وهمومهم ومعاناتهم ومستوياتهم المعرفية ، والإسلام ناقش حتى أدق تفاصيل حياة المسلم الشخصية ، ليس من باب فرض الإسلام ، بل من باب عرض الإسلام ليبقى للإنسان حق الإلتزام من عدمه ، فهو مسؤول غداً أمام الله عن كل شيء ، وقد أقسم جلّ شأنه (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) ، وهنا يأتي دور الوعي ليوّجه الإنسان الى الطريق الذي يضمن وهو يخطو فيه أنه في الإتجاه الصحيح الذي يكفل له حياة جيدة وآخرة يدخلها من باب رحمة الله ، لا من غضبه..

أذن علينا ان نفهم هذه الأبعاد للإسلام في المجتمع ، فقد أملت الصناعة العالمية للثقافة فهماً مادياً مجرداً يهيمن على كل شيء ويسخر كل شيء لصالح المادة ، فقد فرض علينا في مجتمعاتنا العربية والإسلامية هذه المفاهيم بحكم ارتباطنا الإقتصادي والتجاري والسياسي والثقافي بدول الغرب ، واغفلنا مفهوم الإسلام للمادية أو أننا لم نفهم ذلك واكتفينا بالمظاهر المنددة لتلك الأعمال والأفلام التي تجسد شخصية نبينا ، أي تأثرنا معنوياً ، بينما هناك جوانب أخرى علينا أن نتأثر لها ، فالإسلام يدعونا الى عبادة الله وفي الوقت نفسه هو يمنهج لنا طريقة التعامل مع حياتنا في ظل الإسلام..

ان ما يشهده العالم اليوم من ظهور حركات وجماعات إسلامية متطرفة حد الإجرام ، يذبحون ويصلّون ، بل حتى انهم يقدّمون أرواحهم كإنتحاريين ، لأنهم يعيشون اعتقاداً املاه عليهم مشايخ وعلماء دين ، كثيرون

يتساءلون ، كيف يقدم شاب على تفجير نفسه ، وكيف تجد القاعدة وداعش وغيرها من التنظيمات الإرهابية من ينتمي اليها من مختلف انحاء العالم وخصوصاً من المسلمين المقيمين في اوربا ، في الوقت الذي كان يفترض انهم لمسوا حيوية الحياة الإنسانية السلمية في دول تكفل حريات الجميع على اراضيها..

يقول الدكتور شريعتي (واننا اليوم لا نتمكن ان نقدر شيئاً لانعرفه أو نتعبد بعقيدة لا نعرفها وبالخصوص تلك الطبقات المتقفة فان مسؤوليتها في معرفة مقدساتها اعظم وهذا ليس واجباً إسلامياً فقط بل هو واجب علمي وانساني ايضاً . فقيمة كل انسان بمقدار معرفته وفهمه لمعتقداته لأن الاعتقاد وحده ليس فخراً واذا كنا نعتقد بشيء لا نعرفه جيداً فلا قيمة في ذلك بل القيمة تكمن في المعرفة والفهم الدقيق لما نعتقد ولأننا نعتقد بالإسلام فلا بد ان نعرفه جيداً ولمعرفة الإسلام بشكل صحيح لا بد ان

نختار المنهج الصحيح).

نعم انه الاعتقاد لوحده دون المعرفة ، فابن لادن زعيم تنظيم القاعدة كان مهندساً والظواهري طبيباً والبغدادي حاصلاً على الدكتوراه، بمعنى انهم لم يكونوا من الجهلة من وجهة نظر عامة الناس ، ومع ذلك كانوا يصلون في الصحراء وثغور الجبال ويكبرون إثر تفجير سيارة راح ضحيتها العديد من المدنيين والأطفال والنساء ، بل انهم يقرنون تحركاتهم بالمسلمين الاوائل ، ويطلقون اسماء تاريخية على هجماتهم الإرهابية ، ويتكنون بكنى مسلمين عاصروا النبي او كانوا من التابعين .. انني لست أرى بعداً كبيراً بين فكرة تجسيد الأنبياء في الأفلام السينمائية ، وبين هدم قبور الأنبياء ، فتلك مشاريع غربية تعمل وفق صناعة الثقافة الغربية المادية المعاصرة ، وهذه مشاريع شرقية تعمل وفق صناعة الإرهاب القائمة على معتقدات تعوزها المعرفة

الصحيحة في مجتمعات تفتقر الى الوعي والفهم الصحيح لدينها الذي تتمسك به وتتقبل فقرها ومعاناتها على ان يمسّ نبيها برسوم ساخرة أو فلم سينمائي يتعرض لمسيرته التاريخية ..

المجتمع

بين القوى المادية والقوى الروحية

كان البعد المادي هو محور حياة ووجود الناس في أوربا قبل مجيء المسيح عليه السلام ، والذي دعا الناس إلى إضفاء البعد الروحي في حياتهم ، فانتهى تأثير البعد المادي بفعل قوة ما ينتج عن البعد الروحي في كلام وسلوك النبي بين الناس ، إلى أن جاء القرن السادس عشر والقرن السابع عشر ليعود للبعد المادي دوره في الحياة ، فظهر توجه العلم للحياة بعيداً عن هيمنة الكنيسة على يد مثقفين شكلوا طبقة في المجتمع تبحث عن

الحرية بعيداً عن قيود الكنيسة ، وعن العلم من أجل الحياة ، ونجحوا في محورة النواحي الاقتصادية والثقافية والسياسية والاجتماعية للناس حول البعد المادي، فبلغت بلدانهم ما وصلت اليه اليوم..

ان ظهور أعمال سينمائية ورسوم كاريكاتيرية وروايات تتناول أنبياء الله، قد تكون محاولات لإقحام البعد المادي في التاريخ الديني عموماً .. باعتقادي ان الهدف ليس النبيّ موضوع الفلم أو الرواية أو الرسوم بقدر ما هو البعد الروحي لدين ذلك النبيّ في المجتمع ، ففي الغرب طقوس الناس وعاداتهم وعباداتهم وحياتهم محترمة ، وهناك قوانين تكفل للناس تلك الحريات ، فمن غير المعقول أن تهدف تلك الأعمال إلى الإساءة الشخصية لنبيّ أدى دوراً ايجابياً في حياته بين الناس ، كما إن اغلب هذه الأعمال كانت تركز على إظهار النبي مجسّداً أمام المشاهد ، وهذا التركيز باعتقادي يختفي وراءه

مشروع المادية المعاصرة في مواجهة البعد الروحي ،
 البعد المنافس أو هو البعد الذي يمكن ان يهدّد نجاح
 وهيمنة المادية على كل شيء حتى العلم في الآونة
 الأخيرة ، فالبعد الروحي بعد غير ملموس ، ولا يخضع
 للاستقراء أو الاستنتاج أو المنطق العلمي المجرد ،
 فالمادية لا تقبل ما هو غير ملموس لتجري عليه
 التجارب والتحليل ، بمعنى ان وجود البعد الروحي من
 شأنه في مرحلة ما ، أو في زمن ما ، ان يغلب حسابات
 المادية المجردة ، وهذا يشكل خطراً كبيراً على ديمومة
 السيادة العالمية الغربية اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً على
 العالم..

إن الضرر الأكبر من هذه الإساءات ينعكس على
 مجتمعات الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ودول الشرق ،
 كونها مجتمعات في اغلب الأحيان مقلّدة أو تابعة أو
 تائهة .. لأن عنوان حرية الرأي وحرية التعبير يجذب

اليه كثير من عامة الناس ومن المثقفين العرب والمسلمين ممن يقلدون الغرب في ثقافتهم وقد أبدى بعضهم تأييده وعدم رفضه لتجسيد شخصية النبي محمد في فيلم ، وقد نسمع ذات يوم عن قيام رسّام أو كاتب أو مخرج سينمائي عربي أو مسلم بنفس العمل الذي قام به الرسّام الدنماركي أو الفرنسي ، وأنا لا استبعد ذلك ، مادامنا لحد الآن نعيش بعيدين عن أنفسنا ، وفي كثير من الأحيان نجد أننا صرنا أناساً آخرين ، يسميهم البعض (متطورين) ، وفي الحقيقة ان التطور أمر جيد ومطلوب لكن على أن لا يكون بعيداً عن الواقع ، والواقع ليس هو مفروضات الحياة الاقتصادية والسياسية في مجتمعاتنا ، انه الارتباط بالقيم في النشوء والارتقاء والتطور ..

لقد اختلطت الأمور على كثيرين ، حتى على مستوى مسؤولين في البلاد ، فعندما يصرّح احدهم في الحكومة العراقية وهو رجل مثقف فيقول إن الإرهاب أصبح

ثقافة، وإن الفساد أصبح ثقافة .. فإننا لا نجد أنفسنا أمام أشخاص قادرين على تقديم مشاريع قوية توازي تلك المشاريع الغربية الكبرى التي نتحدث عنها .. وعندما يبرر أحد حكام الدول العربية الإسلامية ان الملتحين المسلحين في داعش هم ثوار ، ويعدّهم الأزهر في مصر بالمسلمين المتطرفين ، على الرغم من الأعمال التي يقومون بها على مرأى ومسمع من العالم .. إن شيوع هذا النوع من القادة السياسيين والمتدينين في العالم العربي والإسلامي لا يعطينا مجالاً لتصور وجود إمكانات لمواجهة هذا النوع من الصناعة الثقافية الغربية ..

صناعة الثقافة

الثقافة هي قدرة الفهم والإدراك والاستنتاج المسؤول تجاه الذات وتجاه المجتمع وتجاه التراث وتجاه الحياة والوجود بشكل عام ، ونحن في مجتمعاتنا العربية المسلمة لدينا أعدادا من المثقفين الحقيقيين ، بمعنى أنهم يمتلكون ثقافة نابعة من فهم صحيح واسع للتراث والتاريخ والواقع المعاصر و يبدو ذلك في أعمالهم ونشاطاتهم وكتاباتهم ، إلا أن المشكلة تكمن في أن هؤلاء المثقفين إلى يومنا هذا لا يشكلون إلا قلة، لذا فهم لا يستطيعون أن يشكلوا طبقة اجتماعية فاعلة ، يمكنها أداء دورها المطلوب في المجتمع ، فتأكيد القرآن والنبى الخاتم على أهمية العلم المرافق لخشية الله ، أي بوجود البعد الروحي، يعني أن المسؤولية بعد الأنبياء يتحملها المثقف الحقيقي ، أما (العلم للحياة) الذي اعتمده مثقفوا أوربا في القرن السادس عشر ، فقد أودى بالعلم تحت هيمنة المادة

في القرن الحالي .. هناك عدد من المثقفين المتأثرين
 بنهضة أوربا يحاولون أن يقلدوا تجربة المثقف الأوربي
 في بلدانهم ، وهنا لابد من الإشارة إلى المفكر الشهيد
 الدكتور علي شريعتي الذي دعا إلى (العودة إلى الذات)
 وإلى الانتباه إلى الفارق بين (المثقف الأصيل والمثقف
 المقلد) ، يقول شريعتي : (مفكرو أوربا اشتروا حرية
 الجماهير وعظمتها ونضجها وقوتها وثروتها ورفاهيتها
 وتبلور شخصيتها واشتروا نضج العلم وضحووا في
 سبيله، اشتروا كل هذه الأمور بأرواحهم وحياتهم
 وتعرضهم لمحاكم التفتيش ومعاناة أمور بلغت الإلقاء في
 النار والإحراق والسليخ ، كل هذا حدث حتى تشكلت
 طبقة المفكرين في أوربا ، أما في المشرق فقد شكلت
 على نفس الصورة بأمر من رينيه لابون ، وخطط علماء
 اجتماع غامضين ملحقين بمراكز الاستشراق وحدث أن
 توصلنا إلى نتيجة عكسية تماماً لما توصلت إليه أوربا) ..

إننا في عالمنا العربي الإسلامي ، بحاجة إلى أعمال سينمائية ترقى في إنتاجها وأمانتها في نقل أحداث التاريخ مع إضفاء البعد الروحي على شخصية النبي في أحداث الفيلم ، ما يشدّ المشاهد إليها ، كما شرعت جمهورية إيران الإسلامية في مثل هذه الأعمال ونجحت في ذلك ، وبمقارنة بين فلمين عن السيد المسيح ، احدهما إنتاج غربي يجسد شخصية النبي ، وآخر إيراني يظهر فيه النبي رجلاً يملأ وجهه النور ، سيرى المشاهد إن النور الذي يملأ وجه الممثل وهو يؤدي دور النبي لا يشكل إعاقة فنية أمام إنتاج الفيلم .. بالإضافة إلى ما يعنيه ذلك النور ، فهو من جهة يمثل قدسيّة النبي ، ومن جهة أخرى فهو قادم من الماضي عبر أحداث الفيلم ، وهذا الشعور يقرب المسافات الزمنية بين المشاهد وبين تراثه ، أي يفعل حضور البعد الروحي في المشاهد .. أما ما جاء على لسان النبي في القرآن الكريم (انما أنا بشر

مثلكم يوحى اليّ) ، فهي ليست كي نتعامل مع شخصية النبي بشكل مجرد أو مجسّد ، بقدر ما هي لكي لا يغدو ما نتعلمه من نبـيّ تجري على يديه معجزات تدعمها السماء، واقعاً تحت تأثير الرهبة أو الإندهاش من قوة تلك المعجزات ، والذي قد يزول برحيله ، وهذا خلاف ما يتبناه الأنبياء في سعيهم الى تعريف القوة من خلال العقل والحكمة ..

لذلك فالنبيّ بشر مثلنا، إلا أنه يمتلك بعداً روحياً من خلال الوحي، يعلمنا كيفية انتقال ذلك البعد الروحي الينا كي تستمر رسالته السماوية اجتماعياً بعد رحيله وانقطاع الوحي ، كي يصبح البعد الروحي حاضراً لدينا من خلال إيماننا ، ومن خلال القيم التي تعلمناها من النبيّ ..

ان حضور البعد الروحي في الإنسان ، يمنحه قوة تدعم قدراته البدنية والنفسية والعقلية والعاطفية عندما يشوبها

ضعف أو تهددها ضغوطات معينة ، بهدف الحفاظ على منظومة الإنسان بعيداً عن الانحدار أو الانهيار اللذان قد يجمدا الحياة ويحيلان الإنسان إلى آلة تحركها مصانع ومشاريع عالمية تدعم اقتصاد من يقف وراءها .. وإذا كان ابراهيم الخليل نبياً عندما واجه نار نمرود العظيمة بعين متطلعة الى السماء ، فإن شخصاً مثل ميثم التمار لم يكن نبياً ولا وصياً عندما أمر عبيد الله بن زياد بصلبه وقطع يديه ورجليه ولسانه ثم رميه بالرمح ، وكان ذلك لعدة أيام وميثم مصلوب دون ان يتخلى عن القـــــــيم المحمديّة التي استقاها من نبي الأمة على يد الإمام عليّ عليه السلام .. وحتى عندما اخبره الإمام بما سيحصل له، لم يكن رد فعله ان يطلب من الإمام عليّ ان يدعو الله لينجيه مما سيحل به ، لكنه تساءل ان كان ذلك التعذيب الوحشي سيرغمه على الضعف والتخلي عن قيمه الإسلامية المحمديّة ، فلما طمأنه الإمام انه سيكون في

سلامة من دينه ، لم يبال (ميثم التمار) رحمه الله بالعذاب
والموت ..

وإذا كان (ميثم التمار) قد تأثر بقربه من علي عليه
السلام ، فجعله طاقة روحية كبيرة لا تتأثر بتهدم جسمه
البشري ، فاحتمل ما مورس عليه من التعذيب حتى
الموت ..

فمن كان وراء ذلك الشاب العشريني ممن القت مفارز
حزب البعث القبض عليهم وهم يتوجهون لزيارة الحسين
عليه السلام فاخذوهم الى خارج المدينة وسألهم الجلاد:
من منكم مع صدام ومن مع الحسين؟ فقام ذلك الشاب
ليقول: أنا مع الحسين ، فأطلق الجلاد الرصاص عليه
فمات من فوره ، ثم أعاد نفس السؤال ، فقام اليه شاب
آخر ليقول له أنا مع الحسين ، على الرغم من انه رأى
مصرع صاحبه أمامه ، فهو بالتأكيد لا يتوقع مصيراً
أفضل ، فما الذي دفعه الى ان يحذو حذو صاحبه، وفعلاً

اطلق الجلاذ الرصاص عليه فقتله ..

انه رصيد القيم الذي يحمله كل شخص ، ثم المعرفة بتلك القيم ، ثم الحفاظ عليها ، ثم الموت من اجلها عندما يتعلق الأمر بين الحفاظ عليها أو الحفاظ على الجسم البشري المجرد ، وهذه المراحل تنمو بوجود البعد الروحي في ذات ذلك الشخص ..

صناعات غربية

عندما انتفضت الجماهير العراقية عام ١٩٩١م ضد نظام البعث ، اختارت أمريكا أن تضرب المنتفضين وتدعم بقاء نظام صدام ، لأن أمريكا لم تكن تتوقع ما حصل ، ولم تكن قد خططت لمرحلة ما بعد صدام كما قال احدهم في لقاء تلفزيوني قبل الحرب الأمريكية على العراق عام ٢٠٠٣م ..

مشكلة أمريكا ليست في انها ضد تشكيل حكومة في

العراق أو أي بلد آخر ، لكن مشكلتها في نواة تلك الحكومة ، لذلك اختارت ان تدعم صدام في انتفاضة ١٩٩١م لتطيح به هي عام ٢٠٠٣م من خلال العراقيين ، وجاءت بأشخاص عراقيين مثقفين مقيمين في اوروبا وامريكا يعارضون نظام صدام ، ليكونوا في مواقع القيادة في العراق ، وتفاجأ الناس عندما لم ينجح أولئك المثقفون في بناء الدولة في بلادهم ، كما لم ينجح جهلة النظام السابق ، فالمعارضون الذين قدموا الى البلاد بعد غربتهم يحملون شهادات عليا واختصاصات علمية وكثير منهم كان ناجحاً في عمله على صعيده الشخصي عندما كان في اوروبا وأمريكا، لكنه فشل عندما اصبح في موضع القيادة في بلاده ، ربما تكمن المشكلة في انهم لم يكونوا مثقفين بالمعنى الحقيقي، هم مختصون في مجال الطب والهندسة والاقتصاد والقانون وغيرها من مجالات المعرفة ، لكنهم لم يكونوا أصحاب ثقافة

صحيحة بواقع وتراث مجتمعهم ولم يكن لديهم أي مشروع قائم على أساس هذا الفهم والوعي ، فكانت كل مشاريعهم عبارة عن محاولات وتجارب استمرت اكثر من عشر سنوات دون ان ترتقي حتى الى مستوى تقديم الخدمة الصحيحة للمواطن ، وليس الى مستوى بناء الدولة ، على الرغم من تمكن كثير منهم كاحزاب وقيادات في الدولة وتبنيهم شعارات : نحن خدام الشعب ..

وربما كانوا متقنين حقيقيين لكن المشروع الأمريكي في العراق كان أكبر من مقدرتهم على طرح مشاريعهم الوطنية ، وسواء كان هذا السبب أو ذاك فهو ما تبحث عنه دول الغرب العالمية ، وهذا ماكانت تخشى عدم تحقيقه فيما لو انها دعمت انتفاضة ١٩٩١م وأطاحت بنظام صدام .. كما ان امريكا ليست ضد تشكيل جيش في العراق أو في أي بلد آخر، لكنها ضد بذرة ذلك

الجيش ، وقد رأينا موقفها المتردد من الحشد الشعبي بعد فتوى المرجعية في النجف الأشرف ، فهذه البذرة عراقية حقيقية ، وهنا تكمن الخطورة بالنسبة لأمريكا ، فهي تريد جيشاً افراده عراقيون أما بذرته وهيكلته فينبغي ان تكون أمريكية ، لذلك ظهرت محاولات هنا وهناك للنيل أو لإضعاف هذه البذرة العراقية في أرضها من خلال إثارة واستغلال محدودية الرؤية لدى كثير من القيادات السياسية والدينية ، فكانت فكرة تشكيل الحرس الوطني ، وفكرة الاستتجاد بقوات دولية ، وفكرة تشكيل جيش سنّي، على الرغم من وضوح الفتوى ودعوتها القادرين على حمل السلاح للدفاع عن الأرض والعرض والمقدسات ، ورأينا تصريحات أمريكا بخصوص العمر الزمني للإرهاب في العراق والذي بلغ ثلاثين عاماً في أشد التوقعات الأمريكية ، وأنه لا بد من نشر آلاف القوات الامريكية لضمان القضاء على داعش ،

على الرغم من حجم الانتصارات الكبيرة التي حققتها قوات الجيش والحشد الشعبي ، وأشارت الى انهم لم يحرروا سوى مساحات قليلة جداً من الأراضي التي يحتلها داعش ، وحتى إلقاء المساعدات والأسلحة في المناطق الخاضعة لسيطرة الإرهابيين ..

كل هذه المحاولات على الأرض العراقية ، لا تقل أو لا تبتعد كثيراً عن تلك المحاولات البعيدة المدى الرامية الى إقحام البعد المادي في تاريخ الأديان والأنبياء ، لإضعاف حيوية البعد الروحي الرابط بين الناس وبين تراثها وتاريخها .. امريكا مع حرية التعبير ومع حرية الرأي ، وفي الوقت نفسه هي ضد الحرية التي تصنعها المجتمعات بعيدا عن الاستيراد الغربي لمفهوم الحرية ..

مثلاً هناك صناعات غربية للأجهزة والملابس والأغذية ، هناك صناعات غربية للثقافة والنيابة الفكرية وصناعة القرار ، فتلك الصناعات لها من التجار من

يروج لها في الشرق ، وهذه الصناعات لها من المثقفين من يروج لها أيضاً ، فقد رأينا ردود أفعال لكثير ممن نعدهم من المثقفين العرب والمسلمين ، كانت مع ، أو لم تكن ترفض فكرة تجسيد شخصية النبي أو تناوله في رسوم ساخرة ، معللة ذلك بحرية التعبير والرأي..

يقول الدكتور شريعتي: (كان من ثمار مقاومة الدين في أوروبا : حرية الفكر والنضج الفكري والمدنية المزدهرة وأنواع التقدم العلمي السريع والمدهش في كل مجالات الحياة ، لكن نفس هذا الأمر عندنا ، أي مقاومة الدين في المجتمعات الإسلامية وحتى غير الإسلامية ، كانت أولى ثمارها وأسرعها وأفدحها هي تحطيم السد الذي كان يقف حائلاً في وجه نفوذ الاستعمار الاقتصادي ونفوذ فلسفة الاستهلاك و غلبتها والانحطاط الفكري والانحراف وما اليه من أنواع الغزو الذي أبليت به المجتمعات الشرقية) مسؤولية المثقف ص ٧٣ ..

يرى الدكتور شريعتي ان مثقف القرن السابع عشر في أوروبا نادى بالقومية كي يواجه عالمية البابا ، وأكد على مادية العلم كي يواجه تكريس العلم لخدمة الكنيسة ، ونبذ الإقطاعية والارستقراطية لأن الكنيسة كانت تؤيدها ، واختار المثقف الأوربي الديمقراطية لتكون بديلاً عن الارستقراطية التي أيدتها الكنيسة ، ودعا المثقف الأوربي إلى الحرية كي يتخلص من سيطرة ورقابة الكنيسة ..

المثقف المعاصر والمؤسسة الدينية

بعد الأحداث الأخيرة في العراق منذ سقوط نظام حزب البعث وحتى المواقف الأخيرة التي أنتجتها المؤسسة الدينية والأحزاب السياسية والمنظمات والجهات الثقافية ، لاحظنا المواقف الايجابية في فتاوى وبيانات مرجعية النجف الأشرف من خلال الدعوة الى الشراكة في

الوطن ، والى تهدئة النفوس في وقــــت الأزمات
والتشنجات الرامية الى اثاره الطائفية بين العراقيين ،
وصولاً الى فتوى الجهاد الكفائي الداعية الى حمل
السلاح دفاعاً عن الوطن والعرض والمقدسات ، ودعوة
المتطوعين الى الانخراط في القوات المسلحة الرسمية ،
ودون تمييز هذه المنطقة عن تلك وهؤلاء عن اولئك ،
ووجدت تلك الفتوى ملايين الشباب والكهول ممن حملوا
ارواحهم على اكفهم وخرجوا الى الشوارع مسرعين
ملبين نداء المرجعية ، نداء العرض ، نداء الوطن ، نداء
القيم والمقدسات ، على الرغم من ان اغلب هؤلاء
المتطوعين لم يكونوا منتسبين الى احزاب دينية ولعل
بعضهم يفتقر الى المعرفة بالامور الفقهية في كثير من
مفاصل حياته اليومية .. انه ذلك البعد الروحي الذي كان
وراء توجه تلك الملايين من المواطنين الى ساحات
القتال ..

ان الوضع في العراق خصوصاً ، ليس بحاجة الى تكرار تجربة الغرب في القرن السادس عشر ، كما يرى البعض ويدعوله ..

اننا بحاجة الى مثقفين يروجون الى العلم والى حرية الرأي والى التطور من خلال قيم الإسلام ، وليس من خلال تقليد تجارب دول أخرى وان كانت ناجحة هناك .. لقد جربنا ففشلنا ، ذلك لأننا أغفلنا جغرافية المكان الذي نكرر فيه التجربة ، لقد لاحظنا عملياً دور المرجعية الدينية في النجف الأشرف تجاه المواقف والأزمات الأخيرة في البلاد ، ولاحظنا حجم التفاعل الجماهيري الإيجابي بمختلف الشرائح والطبقات ، وهذا كله يصب في بناء طبقة اجتماعية مثقفة واعية بين الناس ، لذا فإن تواصل اجتماعياً مطلوباً بين المؤسسة الدينية والمثقف الحقيقي ، لأن هذا التواصل من شأنه ان ينمي الحركة الثقافية في المجتمع ، فالمثقف الحقيقي يهدف الى

مجتمع متطور متعلم غير مسير لا سياسياً ولا دينياً ،
وهذا التوجه يتفق مع طروحات المرجعية الدينية ،
عندما نفهم الفارق بين التقليد والتقييد ..

مجتمعنا في اغلب الأحوال يتأثر بشكل مباشر بالسياسي
ورجل الدين ، ويتأثر بشكل غير مباشر بالمفكر والكاتب
والمثقف ..

وحيث ان السياسي لم يثبت توجهاً نظيفاً لصالح الشعب
في كثير من الاحداث والمواقف والازمات ، فإن رجل
الدين واعني به المرجعية الدينية قد اثبتت ان توجهها
خالص نظيف لصالح الشعب ، عموم الشعب ..

كما ان المثقفين من كتاب ومفكرين وادباء تتباين
مستويات المسؤولية لديهم ، وما يعني من هذه الشريحة
هو المثقف المسؤول ، الذي يظهر في كتاباته وافكاره
ميولاً واضحاً نظيفاً لصالح المجتمع ، اذن اصبح لدينا
مؤسسة دينية اثبتت عملياً نوعية توجهها لصالح المجتمع

وشريحة من المثقفين المسؤولين اثبتوا من خلال كتاباتهم ونشاطاتهم انهم يعملون لصالح المجتمع ، لذا لا بد من استثمار نظافة هذه التوجهات في الفريقين لأجل صناعة طبقة اجتماعية مثقفة واعية ، أي مسؤولية ، وعملية صناعة هذه الطبقة تتم من خلال التقارب بين المثقف والمتدين ، تقارباً لا ينتج عنه تأثير أحدهما في الآخر ، لتكون النتيجة إما ثقافة متدينة أو ديانة ثقافية، بل تقارب ينتج عنه انساناً جديداً أو فكراً جديداً ، ينتج عنه ثقافة إسلامية مسؤولية تصل الى الناس عن طريق الخطباء عبر المساجد ، فنحن في مجتمعاتنا العربية الإسلامية نقدّس المسجد ، لأنه ذات يوم كان مبعث حضارة إسلامية رائعة عندما كان يعتلي منبره النبي الخاتم ، واليوم ينبغي ان يكون المسجد وسيلة تقريب من خلال الخطيب الواعي ، بين المجتمع والمثقف الحقيقي ، فعندما يتقبل المتدين نقد المثقف لقضايا إسلامية تخص

واقع المجتمع ، نقداً لا يخرج عن قيم الإسلام المحمدي ،
 ويتقبل المثقف نقد المتدين ضمن نفس القيم مع مراعاة
 جغرافية البلاد والتاريخ بكل أحداثه وتراث الإسلام
 وقيمه ، عندما نفهم الفارق بين النقد البناء والنقد الهدام..
 ان وجود المثقف المسؤول على مقربة من رجل الدين
 المسؤول من شأنه ان يعطي للمجتمع صورة واضحة
 للإسلام ، لا يشعر أمامها انها صورة قديمة وتاريخية
 سواء أكانت جميلة أم لا ، بل يراها صورة حيوية معبرة
 معاصرة وفي الوقت ذاته غير منفصلة عن التراث
 والتاريخ ، هكذا تبدو لي المرحلة المقبلة التي علينا
 التحرك نحوها ، مرحلة إعداد ارضية ينجح عليها إقامة
 مشروع الوعي في المجتمع باتجاه تقدمي ..

اعتقد ان من ضمن نشاطات هذه المرحلة التي نتحدث
 عنها ، هو دعوة المؤسسة الدينية لاصحاب الفكر البناء
 المسؤول واصحاب القلم المسؤول من كتاب ومثقفين

واكاديميين ممن لديهم اعمال جديدة تخدم تطور المجتمع، وتدعم الفهم الإسلامي الصحيح ، وتبني افكارهم عن طريق المنبر ووسائل الإعلام وطبع نتاجاتهم من قبل الجهات المسؤولة عن العتبات المقدسة..

هذا النوع من المحاولات والنشاطات يؤسس لجهد جماعي لدخول مرحلة البحث عن الطرق المتعددة لعلاج واقعنا ، والوقوف على المعاناة لتجاوزها ، فنحن لانزال نتحدث عن المعاناة والهموم والمشاكل فقط ، الخطيب يؤدي دوره من على المنبر ، والمثقف يؤدي دوره من خلال كتاباته ، كل على حده ، والنتيجة اننا نقوم بمحاولات لتحسين الوضع أو لحل جزئي لمشكلة ما ، لكن محاولتنا لا تتبنى مشروعاً أو منهجاً تتطلع به الى الحلول الجذرية لتلك المعاناة والمشاكل ، فمثلاً رجل الدين يدعم فكرة تكوين الأسرة ويحث على تزويج

الأبناء والبنات وفق معايير إسلامية أخلاقية رائعة ،
والمثقف يتحدث في كتاباته عن معاناة الشباب وعدم
مقدرتهم على الزواج بسبب التكاليف الباهضة
والظروف الاقتصادية للمواطن ، وبعض الأحزاب
الدينية أو الحكومية تطرح مشروع الزواج الجماعي
لعدد من الشباب المتعفيين ..

والناس في حيرة من أمرهم ، فمن جانب هم متعلقون
روحياً بالإسلام وقيمه ، ومن جانب آخر يعيشون واقعاً
اقتصادياً اجتماعياً سياسياً يستورد الثقافة والعادات
والأفكار من الغرب ، وقلة أولئك الذين يطبقون الإسلام
بوعي في حياتهم وشؤونهم الخاصة ..

ان جميع هؤلاء يقدمون خدمة لعدد أو لشريحة من
الناس ، لكنهم لم يقدموا حلاً جذرياً لمعوقات تمكين
الشباب من الزواج ، مع إنهم جميعاً يدركون حجم هذه
المشكلة ، لذا فإنني أرى أن التقارب الذي تحدثت عنه

بين المثقف ورجل الدين ، سيسهم في صناعة طبقة من المثقفين في المجتمع ، وإذا ما تشكلت هذه الطبقة فإنها ستكون فاعلة بحكم كثرتها وشيوعها بين الناس ، وهذه الفاعلية المقترنة بالوعي الموجود أصلاً في رجل الدين والمثقف موضوع التقارب ، سيعطي لهذه الطبقة ، لهذا الإنسان الجديد في المجتمع إمكانية تغيير الواقع وصناعة الغد وفق قيم إسلامية نادى بها نبي الأمة وعمل بها نفر ممن انتقل اليهم البعد الروحي الواعي ..

في العراق توجد اعداد كبيرة من الناس ، مرتبطة روحياً بالمرجعية الدينية ارتباطاً مباشراً ، وقد رأينا خروجهم إلى الشوارع لمجرد سماعهم بفتوى الجهاد ، وفي الوقت نفسه تفتقر هذه الطبقة الكبيرة من الناس إلى الوعي وإلى مستوى معاشي مقبول ، وبالمقابل هناك شريحة صغيرة من المثقفين يمتلكون الوعي ، لكن يعوزهم الارتباط المباشر مع الناس ، لذا عندما يتبنى الخطيب المسؤول،

توجيه الناس إلى قراءة كتب ومقالات المفكرين والمتقنين المسؤولين تجاه المجتمع في مجالات الحياة المختلفة ، ودعم المؤسسة الدينية لأنشطتهم ، كما أشرت ، فإنه يصبح ممكناً مواجهة المشاريع العالمية التي تحدثنا عنها بظهور طبقة في المجتمع تعرف معنى الثقافة الحقيقية وتعرف معنى الإسلام الحقيقي .. عندما نصل إلى هذا المستوى ستتغير طرق تعاملنا مع محيطنا وعالمنا ، وسندرك ان المظاهرات السلمية المنددة بفلم أو رسّام كاركاتير تناول نبي الرحمة غير كافية لتعريف نبينا إلى العالم ، وان تفجير مبنى مجلة نشرت رسومات مسيئة إلى النبي وموت عدد من كادرها لا يعالج أو يواجه مشروعا عالمياً يستهدف الإنسان المرتبط بدينه ، ولا يعطي تعريفاً صحيحاً للإسلام وقيمه .. عندما نصل إلى هذا المستوى سنكون قادرين على صناعة مشروع يحفظ لتراثنا حضوره في الناس ،

ويحافظ على البعد الروحي حياً في الناس بشكل ثقافي
حضاري مسؤول ، يكون امتداداً لرسالة النبي السماوية في
جانبيها الاجتماعي..